فراس خطيب

"لا يوجد يسار إسرائيلي"

د.ايلان بابيه: على إسرائيل أن تعترف بحق العودة

المؤرخ بروفسور إيلان بابيه، من جامعة حيفا، يدرك حقائق كثيرة عن إسرائيل والصهيونية كمؤرخ وباحث ومقتنع بأن التمسك بالصهيونية لن يخلق سلمًا في المنطقة. عانى بابيه من عداء منقطع النظير من قبل المؤسسة الأكاديمية الإسرائيلية نتيجة آرائه السياسية، وحاولوا إسكاته بأساليب متعددة لا تصلح لأن تكون في دولة "ديمقراطية متحضرة".

قدموّه في جامعة حيفا (مكان عمله) للمحاكمة، ووقّعوا عريضة ضده وضد مواقفه. وظهرت نوايا الأكاديمية العدائية ضد بابيه متجلية بعدما حضّر طالب يدعى، تيدي كاتس، أطروحة دراسية كشف من خلالها عن مجزرة قرية "الطنطورة" التي نفذتها وحدة "اسكندروني" الصهيونية في العام ١٩٤٨. فشنّت الجامعة على الطالب هجومًا شرسًا، وأعطت للصحافة فرصةً للهجوم عليه أيضًا. بالمقابل، دعمه بابيه حتى النهاية لكن الجامعة وطاقمها تخلوا عنه.

بطاقة تعريف

ايلان بابيه

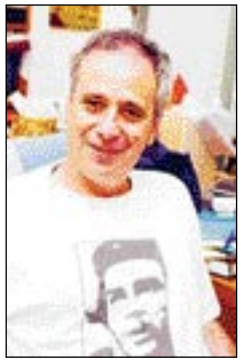

د. ايلان بابيه، محاضر في جامعة حيفا، في كلية العلوم السياسية فيها، ويعمل مع عدة جامعات في العالم، وهو معروف كشخصية يسارية مناهضة للصهيونية، وأكاديمي بارز جدا على المستوى الإسرائيلي والعالمي، ويواجه ضغوطًا من المؤسسة الإسرائيلية بسبب مواقفه الجريئة في كل ما يتعلق بالقضية الفلسطينية.

يعتبر بابيه من جيل المؤرخين المهتم بالمسألة الفلسطينية وبآثار حرب١٩٤٨ وانعكاساتها على الفلسطينيين. ومن الصريحين الذين طرحوا الرواية الرسمية وأظهر الصهيونية على أنها حركة استعمارية تبتعد عن الطريق الوطنية. له عدد من المؤلفات التي صدرت باللغة الإنكليزية ولم يترجم منها إلى العبرية سوى كتابه عن عائلة الحسيني المقدسية.

يختلف بروفسور، بابيه، مع المؤرخين الإسرائيليين الذي حمّلوا الضحية مسؤولية المذابح في العام ٤٨، ويؤمن بأن الصهيونيين أحدثوا تطهيرًا إثنيًا على أرض فلسطين ضمن مخطط وافٍ ومدروسٍ يتمثل "بالخطة دال".

يكشف بابيه من خلال حوارنا معه عن هذه الأساليب وعن تخفي رجالات الأكاديمية الإسرائيلية من وراء غطاء الصهيونية وعن تخوفه من "أن يبذل اليمينيون قصارى جهدهم من أجل "تطهير" الدولة من العرب الفلسطينيين الساكنين فيها. ولا يبدو بابيه متفائلاً في هذه الأيام ويقول: "إن إسرائيل مستعدة لفعل كل شيء للحيلولة دون زيادة نسبة العرب في حدودها". ولكنه يحاول أن يتفاءل: "يوجد تطور ثقافي ومن الممكن ان يصّد العدائية" ويعود للحقيقة ثانية ويقول: "ولكن هذا التطور بطيء جدًا".

قامت نقابة المحاضرين البريطانية مؤخرًا بمقاطعة جامعة حيفا أكاديميًا وكان لبابيه إسهام كبير في هذا القرار بعدما كتب مقالاً في صحيفة "غارديان" شدّد من خلاله على ضرورة مقاطعة إسرائيل أكاديميا.

بلاد لا يسار فيها

***ق.إ: طالبت بمقاطعات كثيرة ضد إسرائيل فدخلت حيّزًا إسرائيليًا غير مرغوب فيه من ناحية الإسرائيليين. كيف تفسر نداءاتك هذه ؟**

– نعم، أنا ناشط ضد الاحتلال الإسرائيلي. وأؤمن منذ أكثر من ثلاثين عامًا بأنّ الطريقة الوحيدة لإنهاء الاحتلال هي المعارضة الطالعة من قلب إسرائيل وداخلها، لأن هناك حركات سلام كثيرة داخل إسرائيل لم تجد نفعًا، والاحتلال يتعمق يومًا بعد يوم. وانتظرت كثيرًا لواقع جديد يزول فيه الاحتلال، لكن الشعب الفلسطيني لا زال واقعًا تحت وطأة الاحتلال الذي لم يتزحزح ولا حتى كيلومتر واحد. هذا بالإضافة إلى وجود رئيس وزراء (أريئيل شارون) يحمل خطة واستراتيجية وعلى استعداد تام لإنهاء الاحتلال ولكن بثمن بخس مع حفظ كمية كبيرة من المناطق للإسرائيليين. وكل هذه الأمور مجتمعة كفيلة بخلق موقف كهذا.

***ق.إ: وكيف تربط هذا مع العقوبات التي طالبت فيها؟**

– توجد خطة مبرمجة، بالمقابل لا توجد ولا أي قوة من الداخل من شأنها إنهاء الاحتلال وتغيير هذا البرنامج الخطير. ولم يتغير الوضع منذ زمن، ليس لأن شارون قوي، بل لأنه يمثل تيارًا مع خطة وفكرة. ورأيت أنه من المناسب والضروري ومن أجل منع نكبةً ثانيةً أيضًا، أن نشّغل ضغطًا خارجيًا على إسرائيل.

أعتقد بأن هذه القوة هي الأقل عنفًا وأكثر نجاعةً وهي طريقة تعود بالنفع دائمًا على متبعيها.

***ق.إ: لماذا ترى أن هذه الفترة هي الأصعب، علمًا بأن هناك فترات شهدتها المنطقة أكثر صعوبة؟**

– للوقت دور أساسي. سلطات الاحتلال تهدم البيوت وتعتقل الناس إداريًا متى تشاء وتهينهم على الحواجز. وهناك فرق بين إهانة الناس على مدار عشرين عامًا وبين إهانتهم على مدار أربعين عامًا، فان قمع الشعب الفلسطيني اليوم أصبح في مراحله المتقدمة، وأصبحت الإهانات أصعب. الأمر الذي يجعل الأشياء كلها أصعب. هناك فرق بين تعذيبك ساعة وتعذيبك ساعتين. طبعًا هذا لا يعني ان التعذيب في الساعة الأولى كان سهلاً ولكن هذا بالضرورة يعني أن التعذيب خلال ساعتين أصعب بكثير من التعذيب لساعة. ولا بد أيضًا من التطرق الى "الإجماع الإسرائيلي" حول موقف اليمين. ففي فترات سابقة كنا نلمس آراءً مختلفةً تتراوح بين المعارض للوضعية والمؤيد لها. كانت حينها قوى داخلية إسرائيلية فاعلة لإنهاء الاحتلال: يمين ويسار ووسط. ولكننا اليوم لا نجد هذه التعددية، لا بل أنّ هناك إجماعًا وتبنيًا لموقف واحد وهو موقف اليمين. الكل يمين اليوم. لا يوجد يسار إسرائيلي. نحن نحيا في بلاد لا يسار فيها، وهذا يعني بالضرورة خطرًا على الشعب الواقع تحت إحتلال هذه الدولة. خذ على سبيل المثال الجزائر، فقد كانت هناك قوة كبيرة داخل فرنسا نادت بإنهاء احتلال الفرنسيين للجزائر. ولكن من الصعب أن تجد هذا في إسرائيل. فأين ستجد واجهة يسارية من شأنها أن تطالب وبصلابة بإنهاء القمع والاحتلال؟!.

ولكن أين دور ما تبقى من هذه الحركات اليسارية التي لا نستطيع إنكارها؟

– لا أحد ينكر جودها. ونحن نحترم هذه الحركات الفاعلة. وعلينا أن نعلم بأن هذه الحركات غير كافية رغم نشاطاتها.

لماذا برأيك وصل الوضع الى هذه الحدود المزرية في إسرائيل، وإلى فراغ في المضمون اليساري الإسرائيلي وتجريده من جودته؟

– اليسار الإسرائيلي، أي ما يسمى بيسار الـ "ديلوكس" عاش

الصهيونية لا تتفق مع اليسار. فلا يمكن أن تكون يساريًا وصهيونيًا في نفس الوقت. يجب عليك أن تكون يساريًا ضد الصهيونية. لان كونك صهيونيًا يعني أنك لا تستطيع أن تقترح للفلسطينيين أساسًا للمفاوضات، لان الصهيونية تقوم على أساس أن الارض لليهود، وثمة من يعتقد من "طيبي القلب" في اليسار بأنّ هذه الأرض لليهود ومن الممكن أن نعطي قطعة للفلسطينيين. كيف تأخذ الوطن وتسلب الأرض وتريد اعادة جزء صغير منها فقط

موقفًا سياسيًا قاضيًا بأن على الفلسطينيين تقبل الخيار الإسرائيلي للسلام. وآمن هذا اليسار بأن الفلسطينيين ينالون فقط ما يبتغي الإسرائيليون منحه. وترجم هذا مع وصول اليسار الإسرائيلي الى سدة الحكم في العام ١٩٩٩، بقيادة ايهود باراك، ومُنحت لباراك فرصة تاريخية لعرض خطته على العالم وتنفيذها. ولكن اليسار، بمن فيهم باراك طبعًا، لم يفهم أن هناك فجوة بين مواقفه ومواقف الفلسطينيين. وأنا لا أتحدث فقط عن ما يسمى "المتطرفين الفلسطينيين"، انتبه، أنا أتحدث عن "المعتدلين". ولعل قضية اللاجئين خير دليل على هذا. فاليسار الإسرائيلي لا يعترف بـ "حق العودة" ولا النكبة. ولكن يبقى السؤال: كيف ستكون الدولة التي يجب أن تمنح للفلسطينيين من دون حق العودة والاعتراف بالنكبة؟!

هل يمكن أن نلخص مواقف اليسار الإسرائيلي؟

– لقد آمن اليسار بمنح الفلسطينيين دولة من دون حدود ومن دون سلاح ومن دون جيش ولا قوات أمن. يعني دولة من دون دولة، وعرضوا هذا في "صيف ٢٠٠٠" في "كامب ديفيد". وافق الفلسطينيون مشترطين بأن يكون هذا الحل بداية للاتفاق وليس نهائيًا. وهذا كان موقف الرئيس الراحل أبو عمار. ولكن كلينتون وباراك قالا لعرفات بطريقة غير مباشرة: إما أن تقبل بهذا الحل كحل نهائي وإما أن لا تكون هناك دولة فلسطينية وسنضعك في موقع "الإرهابي". واشترى اليسار هذه البضاعة، رغم أنّ كل ما أراده عرفات هو أن يكون شريكًا في المفاوضات، وهذا ما رأيناه في طابا أيضًا.

القضية اليوم كالتالي في اعتقاد الإسرائيليين: إذا عرضت عليك (الفلسطيني) عرضًا قبل عامين ولم تقبله، عندها سأعرض عليك أقل مستقبلاً. وإذا اقترحت عليك في العام ٤٧، خمسين في المائة من الأرض ولم تقبل فأنني سأعرض عليك عشرين في المائة. ولكن في عام ٢٠٠٠ سأعرض عليك ١٨ في المائة. والآن يجب عليك أن تعلم أني سأقترح أقل. وهذه هي المعادلة الإسرائيلية!

هل نتناول القضية أيديولوجيًا؟

– الصهيونية لا تتفق مع اليسار. فلا يمكن أن تكون يساريًا وصهيونيًا في نفس الوقت. يجب عليك أن تكون يساريًا ضد الصهيونية. لان كونك صهيونيًا يعني أنك لا تستطيع أن تقترح للفلسطينيين أساسًا للمفاوضات، لان الصهيونية تقوم على أساس أن الارض لليهود، وثمة من يعتقد من "طيبي القلب" في اليسار بأنّ هذه الأرض لليهود ومن الممكن أن نعطي قطعة للفلسطينيين. كيف تأخذ الوطن وتسلب الأرض وتريد اعادة جزء صغير منها فقط؟ هذا لا يمكن ولا يتطابق مع المنطق. وأقولها اليوم وللأسف الشديد: طالما استمرت الصهيونية في إسرائيل، طالما فقدنا الطريق نحو السلام بين الفلسطينيين وبين الإسرائيليين. أقولها بحسرة.

وكيف تفسر: "غياب اليسار أوجد كتلة يمينية صلبة أكثر من أي وقت مضى"؟

– تاريخيًا لم تكن فترة مثل التي نعيشها اليوم. الليكود اليوم يمثل الوسط. في الماضي كانت كتلتان كبيرتان وهما: اليمين المتطرف المتمثل بالليكود، واليمين التقليدي المتمثل بحزب العمل. وأنا أقصد ما اقوله. انقسم الليكود اليوم إلى قسمين، ذهب قسم لحزب العمل وهو اليمين التقليدي، وقسم آخر الى اليمين المتطرف. وغالبية

- كانت للصهيونية بداية وطنية في أوروبا، وعبرّت عن محاولة لإيجاد حل لقضية اليهود في أوروبا عندما كانوا مطاردين. وعندما قرّرت هذه الصهيونية أن يأتي حل القضية اليهودية عن طريق فلسطين، تحولت الصهيونية من "حركة وطنية" الى حركة استعمارية. وخلقت استعمارًا ناجحًا ومتقنا هنا. ومن هنا انطلق الصهاينة وأعطوا تعريفًا جديدًا لليهودية في فلسطين وبنوا اليهودية على أساس جازم: "اليهودي هو من ليس عربيًا". وبنّوا كل موضوع اليهودية حول الا تكون عربيًا.

الإسرائيليين لا يحبون اليمين المتطرف، لذا ولدت كتلة يمينية صلبة، وهذا لصالح شارون، ففي حال ترشحه للانتخابات فإنه سيفوز فوزًا ساحقًا.

يمكن ان نجزم اليوم بأن الخارطة السياسية في إسرائيل ليست أحزابا فقط إنما ايديولوجيات مختلفة.

ما الذي جرّ اليمين الإسرائيلي إلى أن يكون في الوسط؟

- سببان رئيسيان: الأول متعلق بالولايات المتحدة والثاني بشخصية شارون الغريبة والخاصة جدًا. انا اعتقد بأن أحداث الحادي عشر من أيلول أحدثت تغييرًا كبيرًا على الخارطة السياسية. ما احدثته ضربة أسامة بن لادن في مركز التجارة العالمية غيّر الخارطة السياسية كليًا، ولا يجوز لنا ان نستهين في هذه الضربة التي حلّت بالشعب الأميركي. وهذا خدم شارون شخصيًا. ولولا وجود الحادي عشر من أيلول لظل شارون القاتل من "صبرا وشاتيلا" وليس كما هو اليوم يتمتع بشعبية عالمية. لقد حوّلته أحداث الحادي عشر من أيلول من القاتل الى محارب "الإرهاب" الأول.

أما السبب الثاني فمتعلق بشخصيته، خذ على سبيل المثال شارون ونتنياهو، الإثنان يملكان نفس الخطة تقريبًا. ولكن شارون يفهم ما لا يفهمه نتنياهو. شارون يفهم أن عليه التفوه بتعابير مثل "نهاية الاحتلال" و "دولة فلسطينية مستقلة" وبالمقابل لا يلتزم ولا بأية قرارات ولا بأي كلمة يقولها، ويفصل بين هذه اللغة وبين الواقع فصلاً تامًا. أما نتنياهو فهو على العكس تمامًا لأنه يعتقد بأن على العالم أن يفهم أن إسرائيل لا تحتل أحدًا ولا تستوطن أراضي ليست لها، مما يسقط شرعيته أمام العالم. شارون يختلف عن نتنياهو وغيره أيضًا، ويدرك أنه إذا قال هذه الكلمات الساحرة، سيستقطب العالم من حوله من دون ضغط من الخارج. واذا لم يتعاون معه الفلسطينيون فهم المذنبون.

لقد نجح شارون بجلب الاميركيين والأمم المتحدة وأوروبا وروسيا الذين يلعبون الأدوار الرئيسية والمركزية في مسيرة السلام في الشرق الأوسط، نجح بجلبهم إلى صوبه. كلهم اليوم يتحدثون بلغة شارون ويقترحون ما يقترحه شارون. وعندما يتحدثون عن دولة فإنهم يتحدثون عن الضفة الغربية فقط، وعندما يتحدثون عن سلام فهذا يعني أن الفلسطينيين سينحنون للإسرائيليين. شارون ذكي وخطير، وأنا أذكره عندما كان ضابطًا شابًا في النكبة الأولى. فلم يفكر ذات يوم أن ما جرى في النكبة الأولى كان خطأ.

ما رأيك بالادعاء القائل إنه لو كان نتنياهو في الحكم خلال الانتفاضة الأخيرة لنال نضال الفلسطينيين أكثر من نضالهم اليوم رغم ما يدعيه نتنياهو من يمينية ؟

- أنا اعتقد بأن نتنياهو انسان سياسي من دون أيديولوجية. بالمقابل، شارون مع أسس واستراتيجيات خطيرة. عندما صعد نتنياهو سدة الحكم بعد موت اسحق رابين، لم يعترف بأوسلو وقال إنه لن يتنازل ولا عن اي شبر. وفي النهاية تنازل عن الخليل، وهذا يشير إلى نوعية الإنسان. بالمقابل، شارون سيغيّر في التاريخ أكثر من نتنياهو وللأسف سيكون لحكمه وقع علينا. أنت محق، شارون يعرف جيدًا ما يفعله.

فسّر لنا الصهيونية من وجهة نظرك؟

- كانت للصهيونية بداية وطنية في أوروبا، وعبرّت عن محاولة لإيجاد حل لقضية اليهود في أوروبا عندما كانوا مطاردين.

" شارون يعرف جيداً ما يفعله "

وعندما قرّرت هذه الصهيونية أن يأتي حل القضية اليهودية عن طريق فلسطين، تحولت الصهيونية من "حركة وطنية" الى حركة استعمارية. وخلقت استعمارًا ناجحًا ومتقنا هنا. ومن هنا انطلق الصهاينة وأعطوا تعريفًا جديدًا لليهودية في فلسطين وبنوا اليهودية على أساس جازم: "اليهودي هو من ليس عربيًا". وبنّوا كل موضوع اليهودية حول الا تكون عربيًا.

تختلف القضية اليوم لأنها تحمل أيديولوجية عنصرية تقسم الدولة وتفرق بين فئتين: الأولى معرّفة بأنّها يهودية والتي تضم أيضًا غير اليهود مثل الروس والثانية هي الفئة التي تضم الفلسطينيين. وتوجد هناك طريقتان للسلطة في التعامل مع كل فئة.

الصهيونية اليوم عبارة عن ايديولوجية "ابرتهايد" وتعبر عن تفرقة وعنصرية وليست كما كانت حركة وطنية. أنا لا أستطيع أن اكون صهيونيًا مع هذه القيم.

لقد قال لي ارنون سوفير (بروفسور جغرافية وفزّاعة الديمغرافية) في إحدى المحادثات معه أنك تحولت منذ زمن الى عربي. كيف ترى هذا الادعاء؟

– إذا كان ارنون سوفير يعتبرني عربيًا فأنا فخور بكوني العربي. وأريد أن أحكي لك قصة عن أرنون سوفير. قال لي سوفير ذات مرة: "ايلان، انت معنا، أليس كذلك؟ لا احد يسمعنا الآن. أنا اؤيد انتقادك للدولة ولكن إعترف لي بأنك مثلي ونحن كلنا (اليهود) نفكر مثل بعضنا البعض!". فسألته: ما الذي يؤكد لك؟ فلم يجبني.

ونتيجة هذه التساؤلات حول شخصيتي من سوفير وغيره قرّرت الانضمام للجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة. وكان هذا الانضمام مهمًا بالنسبة لي وعلامةً ضروريةً لإظهار نفسي وطريقة تفكيري بشكل صريح وواضح.

هل عاد عليك الانضمام للجبهة بالفائدة؟

– أنا أعتقد أنّ الجبهة هي الحزب العربي الوحيد الذي بإمكانه أن يستوعب يهوديًا من غير الصهيونيين. رغم نقاشي معه. انا لا أوافق مثلاً مع قضية دولتين لشعبين التي تنادي بها الجبهة، لأني اؤمن بدولة واحدة للشعبين. وأتمنى ان تكون هذه الدولة علمانية وديمقراطية. ولكن في الجبهة قبلوني بآرائي هذه. من جهة أخرى، لا يستطيع اليهودي مثلاً أن ينضم الى حركة وطنية وقومية عربية، فأنا لست جزءًا من الحركة الوطنية والقومية العربية. رغم أني قريب من حيث الآراء الى د. عزمي بشارة أكثر من الجبهة. لكن الحق يقال إن الجبهة كانت بيتًا لي عندما رفضتني "المؤسسة الإسرائيلية" وعند مقاطعة دور النشر العبرية لكتبي ومقالاتي.

واجهت صعوبات كثيرة في الأكاديمية الإسرائيلية، ولا زال الأمر مستمرًا حتى الآن. كيف ترى هذه المؤسسة "المتنورة" اليوم بعدما خضت تجربة صعبة معها؟

– وُجد في العام ٢٠٠٠ شريحتان مجتمعيتان، وتوقعنا منهما تعاملاً عادلاً أكثر حساسية للظلم وحقوق الأقليات وهما: الأكاديمية والصحافة. ولكن الإثنتين وللأسف الشديد لم تكونا عند حسن الظن. لاتهما تبنيتا قصة السلطات، وقالتا إنّه في زمن الحرب لا يجوز الانتقاد. على عكس ما كان من قبل.

أغلقت الأكاديمية الإسرائيلية أبوابها أمام الانتقاد وكمّت أفواه الأكاديميين الذين انتقدوا دائمًا. بقيت وحدي في جامعة حيفا، أصرخ

بصوت وحيد ضد الظلم والاحتلال. وأعتقد أنّ هذا الصمت منح اليمينيين في الجامعة فرصة للتخلص مني لأن الوضعية تسمح لهم. وفي العام ٢٠٠٢ قدمّوني للمحاكمة من أجل طردي لكنهم لم ينجحوا في هذا.

السبب؟

– يوجد سببان: الاول هو محاولة كّم أفواه من ينتقد الدولة. والثاني متعلق بقضية مجزرة "الطنطورة". فقد كان طالب يدرس للقب الثاني في التاريخ وكشف من خلال اطروحته النقاب عن مجزرة وقعت في الطنطورة في العام ٤٨، لم تكن معروفة من قبل. وتخلت الجامعة عن مسؤوليتها تجاه الطالب ومنحت الإعلام الإسرائيلي فرصة لمهاجمته وطُرد من الجامعة وأنا وقفت الى جانبه ضد الجامعة.

والسبب الثاني نتيجة لكوني الوحيد في الجامعة الذي درّس موضوع "النكبة الفلسطينية". ورفضت الجامعة هذا الموضوع دائمًا. وهناك سبب أيضا وهو أني وقعت على عريضة من أجل حصار أكاديمي على إسرائيل.

هل وصل التعامل معك إلى الحد الشخصي؟

– شخصي جدًا، لقد تمّت دعوتي لمحاكمة وقدمّوني لمحكمة خاصة وأعلنوا عن مقاطعتي بشكل غير مكتوب، ومنعوا مني أن أكون محاضرًا في ايام دراسية تنظمها الجامعة وهذا ساري المفعول حتى اليوم. قسم من الطلاب دعمني. ولكن جزءًا من المحاضرين يخافون أيديولوجيا ومنهم من يخاف على وظيفته.

التطهير الإثني

حدثنا عن النكبة من وجهة نظرك أنت؟

– أنا اعتقد أن "تطهير اثني" هو التعبير الملائم لكل ما كان في العام ١٩٤٨. هذا هو التفسير الصحيح. كان هناك فئتان وقرّرت واحدة من هاتين الفئتين أن تطرد الفئة الثانية، وهذا ما كان بالفعل. فهمت الصهيونية في مرحلة معينة أن "تطورها" منوط بطرد الفلسطينيين وأن حلمها لن يتحقق إلا اذا طردت الفلسطينيين. وكان العام ١٩٤٨ فرصة ذهبية بالنسبة لها،

جدارية، في الذكرى الرابعة والخمسين للنكبة

والظروف سمحت بهذا لأن البريطانيين انسحبوا من فلسطين والقيادة الفلسطينية كانت خارج فلسطين ولم تكن هناك قوة ثابتة وموحدة لصدها. وكان العالم العربي مشغولاً في صراعه ضد الاستعمارين الإنكليزي والفرنسي. كان برنامج الصهيونية واضحًا للتطهير الاثني حسب الخطة "د". ترجم عن طريق تطبيق كامل للخطة وهدموا أكثر من ٥٠٠ قرية وحوّلوا ٧٠٠ ألف إنسان إلى لاجئين.

وهل انتهت تلك المرحلة مع العام ٤٨؟

–أنا اعتقد أن الشيء المخيف هو ليس فقط ما فعلوه في العام ٤٨. خوفي نابع من أن الصهيونية لن تهدأ اذا لم تصل نسبة اليهود الى ٩٠ في المائة على أرض فلسطين. وستظل تناقش نفسها وتثابر من أجل تحقيق هذا الحلم. وستفعل كل شيء من اجل ترجمة هذا على ارض الواقع.

المؤرخون الإسرائيليون اعتبروا تلك الفترة حربًا وفي الحرب توجد شرعيات.

– لم تكن حربا إلا في المناطق التي دخل إليها الجيش العربي المصري والأردني والسوري. لم تكن هناك حرب كما يدعي جزء كبير من المؤرخين. كان الجيش الصهيوني يدخل إلى البلدة ويطرد أهلها، وهذا كان في كل المناطق التي ابتعدت عن أماكن الجيش العربي. لقد نّفذ الجيش الصهيوني ٣٥ مجزرةً وهذا كلّه موثق، ونحن نعرف عن مجازر "سعسع" و "الصفصاف" و "عين الزيتون" و "الطنطورة" و "عيلبون" و "دير ياسين". وإذا لم تظهر هذه المجازر في كتب الإسرائيليين فهذا لا يعني أنها لم تنفذ. لم تكن هذه المجازر صدفة وعشوائية لا بل كانت جزءًا من برنامج جدي ومدروس. واذا قمت بمجزرة فهذا يعني انك أرهبت الناس. خذ على سبيل المثال ادعاء سلمان أبو ستة القائل إن الصهيونيين وقبل احتلال كل مدينة كبيرة كانوا يرتكبون مجزرة لإخافة المدينة الكبيرة. وأنا أوافق مع هذا الادعاء. كانت المجازر جزءًا من عقلية. ومفهوماً سياسياً مبرمجاً.

كانت هناك عمليات اغتصاب ايضًا، هل كان هذا مبرمجًا؟

– كلا، لم يكن الاغتصاب جزءًا من البرنامج مثل المجازر. ولكننا نعرف انه كان جرائم اغتصاب، وليست قليلة. ولكن هذا ليس موثقًا نظرًا لصعوبة التوثيق. ليس من السهل على النساء الفلسطينيات اللاتي تعرضن لاغتصاب في تلك الفترة أن يتحدثن عن هذه التجارب، فليس من السهل أن تعترف امرأة بحقيقة مرة مثل هذه في مجتمع عربي محافظ.

وهل خلقت الجيوش العربية جو حرب شرعيا للممارسات كما يدعي بعض الصهاينة؟

– لم يكن هناك برنامج للجيوش العربية ولم تكن قيادة أصلاً. الجماهير في الدول العربية ضغطت على قيادتها من أجل نصرة الفلسطينيين وطلبوا من القيادة دخول الحرب. القيادة العربية بعثت القوات الى فلسطين من دون اي برنامج. الجيش العربي الوحيد الذي حمل برنامجًا كان الجيش الأردني الذي لم يدخل المناطق اليهودية شريطة نيله الضفة الغربية بعد الأزمة. العالم العربي في حينه لم يعرف ماذا يفعل.

أين تلوم الضحية وبماذا أخطأت برأيك؟

أنا لا اعرف حقيقة اذا كانت الضحية أخطأت فعلاً. ولكن من الممكن أن الاتكال على العالم العربي في حينه كان خطأ. لان الفلسطينيين لم يفهموا الفجوة بين كلام القيادة العربية وبين ما تنفذه هذه القيادة على أرض الواقع. فلو عرف الفلسطينيون ان العالم العربي لن يفعل شيئًا لكان من الممكن استغلال العالم ومجلس الأمن لنصرة قضيتهم. ومن الممكن أيضا اعتبار عدم وجود أرض خصبة لقيادة فلسطينية موحدة بين الأحزاب أضعف القيادة الفلسطينية وآلت الأحوال الى وضعية الاحتلال.

هل توجد مصادر عربية وأرشيف عربي موثقان لقضية النكبة؟

– طبعًا يوجد وأنا استعمله كثيرا.

ولكن لماذا يقول المؤرخ يوآف جلبر أنه لا توجد مصادر عربية؟

– هذا ليس صحيحًا. ملأت كتبي بالمصادر العربية والاراشيف العربية ولكن من لا يعرف اللغة العربية مثل يوآف غلبر فلا يستطيع أن يقتبس من مصادر عربية. غلبر لا يعرف حرفًا واحدًا في العربية. فاذا فتشت عن مصادر عربية عليك أولاً ان تعرف اللغة العربية. غلبر لا يعرف اللغة ويقول لا توجد مصادر في هذه اللغة. هكذا يتعامل غلبر. توجد مصادر عربية جيدة وممتازة. وعندما تستعمل مصادر عربية وعبرية معًا تجد عندها صورة كاملة ومهنية أيضًا لما كان في العام ١٩٤٨.

حق العودة وحق الهجرة

ولدت بعد هذا قضية اللاجئين وتباينت مراحلها، أين مربط الخيل في هذه القضية تاريخيًا وسياسيًا؟

– قضية اللاجئين متعلقة أولا بالعنصرية الإسرائيلية القائلة إنك لا تستطيع أن تقيم دولةً هنا من دون أن تكون في إسرائيل أغلبية يهودية. ومن هذا المنطلق سيعمل الصهيونيون على منع التوازن الديمغرافي وسيحاربون ليس فقط "حق العودة" للاجئين الفلسطينيين إنما التكاثر الطبيعي عند العرب.

ثانيًا: لقد قلّت الهجرة اليهودية الى إسرائيل، هذا بالإضافة إلى

لقد قلّت الهجرة اليهودية الى إسرائيل، هذا بالإضافة إلى تصاعد التكاثر الطبيعي عند العرب. وهذا خوف أرنون سوفير. الصهيونية، ليست فقط ضد العودة، إنما ضد كل شيء من شأنه ان يغير هوية الدولة اليهودية. تخوف أرنون سوفير (فزاعة الديمغرافية) في مكانه فهو يعرف تمام المعرفة أنه في النهاية لن تكون هنا اغلبية يهودية. العرب سيصبحون ٤٠ في المائة من سكان الدولة. وأنا اعتقد ان "عودة اللاجئين" هي الطريق الوحيدة التي من من خلالها ممكن بناء دولة من دون الحاجة الى أغلبية

تصاعد التكاثر الطبيعي عند العرب. وهذا خوف أرنون سوفير. الصهيونية، ليست فقط ضد العودة، إنما ضد كل شيء من شأنه ان يغير هوية الدولة اليهودية. تخوف أرنون سوفير (فزاعة الديمغرافية) في مكانه فهو يعرف تمام المعرفة أنه في النهاية لن تكون هنا اغلبية يهودية. العرب سيصبحون ٤٠ في المائة من سكان الدولة. وأنا اعتقد ان "عودة اللاجئين" هي الطريق الوحيدة التي من من خلالها ممكن بناء دولة من دون الحاجة الى أغلبية. انا أستطيع العيش مع أناس عاديين من دون النظر الى قومية أو أصل او عرق أحدهم. ويجب تسوية قضية الـ ٤٨ لان ما جرى لم يكن سهلاً أبدًا فمن غير المعقول أن يملك اليهود في فلسطين ٥ في المائة من الأراضي في العام ١٩٤٧ وفي العام ١٩٤٩ تصبح هذه النسبة ٩٥ في المائة.

ماذا تقترح؟

– يتوجب اعتراف إسرائيلي بحق العودة. وأنا لا اعرف كم من اللاجئين يريدون العودة الى البيت. وطبعًا ليس أبو مازن من يقول كم من اللاجئين وكم سيعود إلى الأراضي المحتلة، إنما اللاجئون أنفسهم يقولون كم سيعود منهم. انا سمعت أن أبو مازن قال إنّ حق العودة هو للاجئين، وهذا متعلق بالحل الذي سيطرح لقضيتهم. الدولة اليهودية لن تعطيهم هذا الحق بالتأكيد. والسؤال: هل سيعود اللاجئون إلى غزة؟ أم إلى حدود الدولة الإسرائيلية؟ الحل برأيي يكمن في ايجاد دولة واحدة.

ولكن في الوقت الذي تهيمن فيه الصهيونية لن يكون حديث عن دولة واحدة للشعبين.

الهجرة اليهودية. الى اين؟

لماذا برأيك خفّت الهجرة اليهودية الى إسرائيل؟

– كميات الهجرة يبست ولم تخّف فقط. لا يوجد اليوم مصادر أبدا. وهذا تخوف بالنسبة للإسرائيليين، الأمر الذي يخلق جنونا عند الصهيونيين في إسرائيل. والعامل الديمغرافي يقلقهم لأنهم عنصريون ويعتقدون أنّ زيادة العرب عن نسبة ٢٥ في المائة مصيبة.

هل من الممكن أن تقدم حكومة ما على تهجير العرب من قلب مسكنهم اليوم؟

– يوجد مكان في إسرائيل يدعى "مركز هرتسليا متعدد المجالات"، ويعتبر هذا المكان معهدًا محترمًا في إسرائيل، وقد ألقى رئيس الحكومة، أرئيل شارون، كلمة هناك أعلن فيها عن "خطة الانسحاب" من غزة لأول مرة.

تصمّم في هذا المكان كل السياسة الإسرائيلية ويلتقي فيه السياسيون مرة كل عام ويبرمجون الحال الإسرائيلية. وتقلقهم زيادة نسبة العرب، حيث يعتبرها القائمون نسبة كبيرة جدًا.

القادة الإسرائيليون لا يعلنون عن هذه النوايا بصوت عالٍ مثلما يعلن عنها أرنون سوفير. أرنون سوفير يعلن عنها أينما كان ولكنّهم لا يفعلون مثله. هم مدركون أن العرب مشكلة ولكنهم لا يعرفون كيف يتصرفون معها.

والإجابة على سؤالك هي نعم، من الممكن، خاصة بعد أحداث اكتوبر ٢٠٠٠. فمن الممكن ان يقولوا إنّ عدد المتعاونين مع حزب الله من الجليل يعلو من مرة الى مرة ويجدون مخطّطا من شأنه تهجير العرب.

ترانسفير للعرب؟

– بالمناسبة أنا كتبت الكثير عن هذه القضية. ولكن اكرّر أن في إسرائيل يوجد ما يسمى بقانون الطوارئ الذي يمنح الجيش الإسرائيلي قدرة على قلب كل منطقة إلى منطقة عسكرية مغلقة. ويمنع دخول الإعلام والتلفزيون الى هناك. ويفعلون ما يشاؤون من دون رقيب عليهم. وإذا كانت الوضعية وضعية حرب فهم يفعلون ما يريدون وليس مستبعدًا أن يقوموا بمثل هذا العمل.

وهل تعتقد بأجواء سياسية كهذه من الممكن أن يحصل شيء كهذا؟

– أنا اعتقد أن الفلسطيني اليوم ليس هو الفلسطيني الذي كان في العام ٤٨ وليس من السهل أن يحصل شيء كهذا. وأود أن أطرح تفاؤلاً معينًا في هذا الصدد وأقولها بكل صراحة: أعتقد أنه مقابل الخطر تقوم تحركات تهيء تعاملاً حسنًا بين العرب واليهود. ويظهر هذا بين سكان الجليل من اليهود والعرب ومناطق أخرى. فقد تطورت حركات في المجتمع المدني وتطورت ثقافة "معاً" وهي ليست بالضرورة حبًا وقبلات، ولكن من الممكن ان ينشأ نوع من التعايش من دون أن يشعر الناس. ويبنون دولة مشتركة. وتتغير الأسئلة والإشكاليات. ولكن ما يقلقني هو ان التطور بطيء وبناؤه يحتاج وقتًا طويلاً في وسط هذه الطريق. فقد أعلنت على سبيل المثال إسرائيل عن أنها ستضرب إيران في فترة معينة. هل نعرف ماذا سيكون رد الإيرانيين؟

هل وظفت الصهيونية الكارثة لتحقيق أهدافها؟

– لو عدنا إلى العام ٤٨ وجاء الفلسطينيون واليهود في ذلك الحين إلى "مجلس الأمن"، وهذا الجانب قال إنّ الدولة لنا والجانب الآخر قال لا الدولة لنا من دون أن تكون هناك "كارثة"، كان العالم سيدعم الفلسطينيين من دون أدنى شك. وسيقول العالم إن اليهود مستعمرون. ولكن بعد "الكارثة" قالت أوروبا وبشكل غير مباشر: "اسمحوا لنا، نحن مسحنا اليهود عن الأرض فاعطونا الآن ليكون ضميرنا مرتاحا على الأقل. أعطوهم دولة حتى لو كانت على حسابكم". واليهود استغلوا هذا ضد الفلسطينيين، وأنا أوافقك ان اليوم خاصة يستعملون هذا ثانية.

ايلان بابيه ما زال في خضم حملة التحريض ضده بسبب قرار المحاضرين البريطانيين مقاطعة جامعتي حيفا وبار ايلان وفي الوقت نفسه يواصل عمله بالجامعة ومشاركاته العديدة في الفعاليات الأكاديمية والسياسية ضد الاحتلال ومن اجل الاعتراف بحق العودة والسلام العادل، وهو رئيس مجلس إدارة معهد إميل توما للدراسات الفلسطينية والإسرائيلية ويؤكد أن كل هذا التحريض لا يزيده إلا إيمانا بطريقه وفكره ولن يثنيه عن التعبير عن رأيه ومواقفه بصراحة تامة.

الآن في الاسواق

مدار

المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية
The Palestinian Forum for Israeli Studies (MADAR)

تحدي الهيمنة الاشكنازية

د. أسعد غانم

تم نشر هذا الكتاب بدعم من (CIDA) الوكالة الكندية للتنمية الدولية